مدينة قم هي قاعدة لنشر الأفكار النيّرة لأهل البيت(ع)

المكان: طهران

الزمان: ١٣٧٨/١٠/١٨ش. ١٤٢٠/١٠/١ق. ٢٠٠٠/٠١/٠٨م.

الحضور: حشد كبير من أهالي قم

المناسبة: ذكرى انتفاضة ١٩ دي لأهالي قم

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بكم جيمعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء وأشكركم لما تحملتم من متاعب وجئتم إلى هنا من مدينة قم المقدسة حيث عطرتم أجواء حسينيتنا بأنفاسكم الحميمة النابعة من الإيمان ومن مودتكم. أسأل الله تعالى أن يشمل شهداءنا الأبرار وروّاد يوم التاسع عشر من شهر دي – وهؤلاء هم السابقون والأوّلون في هذا الطريق – بعنايته ومغفرته الخاصة.

يوم التاسع عشر من شهر دي نقطة مشرقة، ليس في تاريخ مدينة قم فحسب، بل في تاريخ بلدنا وتاريخ الثورة. في هذا اليوم لبّى شباب قم، ورجالها ونساؤها، وطلاب العلوم الدينية وغيرهم، بكل إيمان وبسالة ما كان يقتضيه العصر. المهم هو أن يستطيع كل شعب أو شخص أو منظمة تلبية ما يقتضيه العصر. طبعاً لم يكن يوم التاسع عشر من شهر دي أول حدث يبدي فيه أبناء مدينة قم هذا الوعي واليقظة والبسالة، فمدينة قم هي قاعدة لنشر الأفكار النيّرة لأهل البيت عليهم السلام منذ ألف ومائتي عام. في الوقت الذي كانت الحكومات معارضة لأهل البيت، حافظ أبناء مدينة قم على هذا الموقف، وإذا كانت هناك صعوبات، فهؤلاء هم من تحمل أعباءها. مدينة قم تمثل مركزاً ومهداً فكرياً وعلمياً في العالم الإسلامي منذ سبعين عاماً. فهذه المدينة تحوّلت إلى مركز علمي رئيس في العالم الإسلامي وعالم التشيع منذ أن حلّ فيها المرحوم آية الله الحائري سنة ١٣٤٠ هـ.ق وبلغت ذروتها في عهد المرحوم آية الله البروجردي، وكانت ثمرة تلك المراحل ظهور شخصية عظيمة وفريدة كإمامنا العظيم. فمدينة قم تتمتع بهذا الماضي المشرق حيث لبّت دائماً ما يتطلبه العصر. ومن هذا القبيل يوم التاسع عشر من شهر دي.

مشكلة الشعوب والأشخاص الذين يخضعون لضغوط العصر ويُقهرون أمام أحداث زمانهم، هي أنهم لا يعرفون زمانهم وما يجري حولهم، كما لا يدركون ما يتطلبه العصر وإن أدركوا، فليس لديهم الشجاعة للتعبير عن ذلك. لذلك يقهرهم الزمان والعناصر المعارضة والمعاندة.

لو لم يثر أهالي قم في التاسع عشر من شهر دي عام ١٣٥٦ هـ. ش ولم يصنعوا تلك الأحداث العظيمة المتوالية لكان من المحتمل أن تتخذ الأحداث مساراً ومنحى آخر، لكنهم تميّزوا بالإبداع فتظافروا جميعاً في هذه الحركة رجالاً ونساءاً، وشيوخاً وشباباً ومن علماء الدين وغيرهم؛ وإن وقع العبء الأعظم على عاتق الشباب، فلأن صفاء الفطرة وعدم التعلق بالماديات هي التي تسوق الشباب للنزول إلى وسط ساحة التكليف بكل يسر. لقد عبّر كافة أبناء الشعب الإيراني عن تلك الروح أثناء مرحلة الثورة، وإن تقدم البعض وتأخر آخرون فإن مدينة قم كانت في الطليعة. فكانت النتيجة أن خرج ذلك الحصن المستعصي – الحكومة الإيرانية – التي كانت في قبضة أعداء الشعب الإيراني والناهبين والسلطويين والقراصنة الدوليين، خرج من قبضتهم على أيدي أبناء الشعب.

ربما يفتح البعض قلعة، لكنهم سرعان ما يفقدونها، وقد يكون من بين الحاضرين هنا الكثير ممن شاركوا في الحرب المفروضة ولاحظوا أن المرء يستولي أحياناً على حصن أو منطقة أو مدينة أو قرية، لكنه يصاب بالغفلة عند حراسته لها، أي إنه يتحلى بالحافز في المرحلة الأولى، ثم يفقده فيما بعد، فإن العدو يهاجمه ثانية – وكما يصطلح عليه العسكريون، الهجوم المضاد – ويسترد ما كان أخذه منه بمشقة وإيثار وتحفّز وإيمان. همّ الشعب الإيراني حتى الآن هو إجهاض الهجمات المضادة التي شنّها الأعداء في كل مكان. ولا يعني ذلك أن العدو قد كفّ عن هجماته المضادة، بل إنه يروم دوماً توجيه ضرباته لنا.

فمن هو العدو؟ إنه كل من يناهض سيادة النظام الجماهيري الديني المستقل، أي كل الطامعين والناهبين والانتهازيين ومكتنزي الثروات والسلطويين والعملاء ومروّجي الفساد والذين يشعرون بالضرر الشخصي من سيادة الثقافة الدينية. طبعاً في مقدمة هؤلاء الأجانب الذين لحقتهم الهزيمة أكثر من غيرهم. أمريكا هي التي لحقها الضرر أكثر من غيرها من إقامة الحكومة الإسلامية ولم تزل كذلك – هؤلاء في مقدمة الجميع – وهكذا هو الحال بالنسبة للصهاينة والشركات العالمية الضخمة، والمنحرفين في المجالات المختلفة ومن يكتنزون الثروات الوطنية. هؤلاء هم الأعداء جميعاً.

مراتب العداء تختلف عن بعضها، لكن هناك جبهة معادية ظهرت. إن هذه الجبهة حاولت منذ انطلاق الثورة استرداد هذه القلعة. الهدف هو أن تتحول الحكومة الجماهيرية الدينية القائمة على الإيمان والجماهير وحبهم وإرادتهم – القائمة في إيران حالياً – إلى حكومة عميلة احتكارية يسهل على أمريكا أن تفاوض معها، فتمنحها امتيازاً شخصياً وتسلبها امتيازاً. لكنهم يعجزون الآن عن هذا.

من أين تأتي الغفلة إلى تلك السرية، والكتيبة أو الفرقة في ساحة الحرب بعد ما يفتحون قلعة أو حصناً منيعاً؟ هناك عدة عناصر تساعد على ظهور هذه الغفلة. العامل الأول هو فقدان الدافع وضعف الحوافز والغيرة وضعف الإيمان والاتحاد والشجاعة. إن هذه العوامل تروّج وتشاع من قبل الأعداء لإثارة حالة من الانفعال بين الجبهة الجماهيرية العظيمة في الثورة والنظام الإسلامي. إنهم يعلمون أن الحرب العسكرية لا تعالج معضلة إيران، لأنها تزيد من وحدة الشعب، لذا يدخلون من طريق آخر. هذا هو السبب في تأكيدي وتركيزي على قضية الثقافة والأجواء الثقافية للبلاد، وسبق أن تطرقت لهذه القضية أمامكم يا أبناء قم الأعزاء أثناء زيارتي لمدينتكم قبل بضعة أشهر، وأتطرق إليها الآن، لأن هذا هو أساس القضية. فإذا ما تلوثت البيئة، فإن الجميع يشعرون بهذا الخطر ويطلقون تحذيراتهم – فيقال على سبيل المثال: لقد ازداد معدل التلوث في أجواء طهران أو المدينة الفلانية – طبعاً هذه العناصر الملوّثة لها خطورتها وعملية التنفس في هذه الأجواء ستؤدي إلى إصابة الناس بأمراض في الرئة والدم والأعصاب، فكل ذلك صحيح، لكن كيف الحال مع البيئة الثقافية؟ أوليس للبيئة الثقافية أهميتها؟ أوليس من الخطورة بمكان أن ينمو الشاب المسلم وسط أجواء مليئة بعناصر الإثارة التي تدفع نحو الشهوة والفساد وتشجع على البطالة واللامبالاة والإدمان على المخدرات ومختلف أنواع الإنحراف وتشجيع التبعية للأجانب سياسياً وثقافياً ويستنشق الناس هذه الأمور في الأجواء الثقافية للبلاد؟

أية حالة أفضل للعدو– وهو الجبهة التي ذكرتها، أياً كانت – من أن يصل الأمر بأبناء المجتمع الإسلامي والشباب إلى أن يقولوا: لماذا عليهم أن يعارضوا الأجانب الذين ينهبون ثروات إيران؟! فليأتوا ويقيموا الحكومة بأنفسهم ويأخذوا بزمام إدارة الأمور وليأخذوا ما يحلو لهم من ثروات، لكن عليهم أن يتفضلوا علينا بما يسد جوعنا؟ كما كان الوضع قبل انتصار الثورة الإسلامية. طبعاً لم تكن هناك هذه الحالة الأخيرة "نعطيهم وليأكلوا كي لا يبقوا جائعين". كلّا، لقد كان الجوع والفقر وعدم التمكن وفقر الدم العم لدى الجماهير يلوح بالأفق. هل هناك خطر أكبر من أن يروّجوا هذه الفكرة بين الجماهير ويجعلوا منها ثقافة وقناعة؟!

لقد أيقظ الإسلام شعبنا وشبابنا. فأثبت أولاً أن الشعب إذا ما أراد الوقوف على قدميه وإصلاح شؤونه، فإنه يستطيع، ثانياً وعي الناس وفهمهم بأن الذين يحتكمون في مصير البلد، معزولون عن الجماهير. فهذا ما لمسه الشعب ولاحظوه. الذي يريد أن يحكم، يجب أن يستند على الجماهير أو يستند على الأجانب أو يستند على عسفه وممارسة ضغطه. هؤلاء لم يكونوا مستندين على الشعب بل كانوا مستندين على الدعم الأجنبي، لقد دعمهم الأجنبي حتى يلجأوا إلى القوة والسيف. فجاء النظام الإسلامي ليسحب البساط من تحت أقدامهم. فاليوم يعتمد النظام

الإسلامي والحكومة الإسلامية على الشعب وعلى الأسس الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة. نحن لا ندعي تنفيذ الأحكام الإسلامية، كلّا، هناك الكثير من الأحكام الإسلامية لم تطبّق بعد. لكن من الذي يستطيع تطبيقها؟ إنه الإنسان المؤمن بالإسلام والمعتمد على الشعب. لذا فإن هذا التحرك هو التحرك الصحيح.

إن العدو يسعى من خلال إعلامه لبث السموم في الأجواء السياسية للبلد. الحكومة الأمريكية تجلس اليوم بسهولة مع أكثر الحكومات في العالم رجعية وفساداً للحوار فيما بينها، دون وجود أي شكوى بينهم – من قبيل الحكومة البهلوية الفاسدة السابقة والحكومات الأخرى في الوقت الراهن – لكن هؤلاء أنفسهم يتهمون الشعب والحكومة الإيرانية – وهي السباقة من بين دول المنطقة والعام إلى الاعتماد على أصوات الشعب – بنقض موازين الديمقراطية! فما هي الديمقراطية؟ هل تعني الديمقراطية الاستناد إلى أصوات الشعب؟ كلّا، لقد أثبتت الانتخابات الأمريكية الأخيرة عكس ذلك. في حين أن إيران تعيش الديمقراطية الحقيقية. على مدى السنوات الإحدى والعشرين أو الاثنين والعشرين التي تلت انتصار الثورة الإسلامية شهدت البلاد – كمعدل متوسط – عملية انتخابات واحدة في كل سنة، وكان لأبناء الشعب مشاركتهم في جميع أمور البلد. وفي الوقت ذاته يتهمون إيران بنقض حقوق الإنسان! في حين تحدث اليوم أفظع حالات نقض حقوق الإنسان في العالم على أيدي هذه القوى الاستكبارية العالمية وأذنابها وحلفائها دون أن يمنعهم وازع عن ارتكاب نقض حقوق الإنسان في أمورهم التي تحدث لهم! فما هو هدفهم من توجيه التهم والإساءة إلينا؟ الهدف هو بث السموم في الأجواء الفكرية والثقافية والسياسية في البلد لكي يتلوث كل من يتنفس في هذه الأجواء عقلياً وفكرياً.

ما يقع اليوم على عاتق كافة أبناء الشعب – وبالدرجة الأولى على عاتق المسؤولين ونواب المجلس والعلماء والخطباء وكبار المسؤولين الحكوميين – هو أن يعرفوا بأن النظام الإسلامي كما واجه في بداية ظهوره ألدّ الأعداء وأكثرهم وحشية، لا يزال يواجه نفس أولئك الأعداء. وعلى مسؤولي البلد سواء الحكومة أو السلطة القضائية أو نواب المجلس – أن لا يصدر عنهم قول أو فعل يستشف منه الرغبة في هذا العدو الغادر، عليهم أن ينتبهوا. لا يجب أن يتفوه مسؤول – سواء أكان في القطاع الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي، أوفي السلطة التشريعية أوفي السلطة القضائية – أو يتخذ موقفاً ويقوم بعمل يصب في صالح العدو. فالعدو متيقظ، فعليكم أيضاً التحلي باليقظة.

على أبناء الشعب أن يراقبوا سلوك المسؤولين ورجال الدولة والنخبة والذين يمكنهم التأثير في المجتمع. فمن الخطأ أن نتصور أننا سلّمنا المسؤولية بأيدي أشخاص وهؤلاء هم المسؤولون،

وعلينا أن ننشغل بأمورنا وحياتنا ولا شأن لنا بهم. كلّا، فإذا ما حدث ذلك فعندئذ ستضرر الشعب، ولو وقعت الغفلة فستتغلب الأحداث.

إن العمل المناسب والصحيح هو تلبية ما يتطلبه العصر. ما يقتضيه عصرنا اليوم بالدرجة الأولى هو الوعي واليقظة والحفاظ على روح الإقدام والقدرة على المبادرة في الحالات التي هي بحاجة إلى المبادرة. على المسؤولين أن لا يخافوا من القيام بالأعمال الكبيرة التي هي ضرورية للبلاد. فبوسعهم إنجاز هذه الأعمال الضخمة وذلك بدعم من الشعب وإسناد الرأي العام والعلاقات القائمة بين الشعب والمسؤولين.

حيثما اقترنت هذه الجرأة مع الإيمان، فسوف نتقدم إلى الأمام. هكذا كان الوضع في المؤسسات الثورية. فالمؤسسات الثورية أفلحت في إنجاز أعمال جيدة في أي ساحة دخلتها وذلك نتيجة ما تمتعت به من ثقة بالنفس وجرأة على المبادرة والتوكل على الله سبحانه وبالاعتماد على قدراتها الذاتية. القوى المؤمنة التي أبدت براعة فائقة في ميادين الدفاع المقدس – سواء حرس الثورة الإسلامية أو قوى الجيش المؤمنة أو قوات التعبئة الشعبية – أنجزت أعمالاً أشبه بالمعجزة. وهذا هو الحال بالنسبة لجهاد البناء. طبعاً تم دمج وزارة جهاد البناء مع وزارة الزراعة، لكن من المتوقع أن تمثل هذه الوزارة الجديدة – التي تسمى بوزارة الجهاد الزراعي – نفس تلك الخصال البناءة الراسخة، والاعتماد على القدرات الذاتية – ومن المسلم به ترحيب العناصر المؤمنة الملتزمة في وزارة الزراعة سابقاً بذلك – وتلك التي شكلت جهاد البناء لتتمكن من معالجة مشاكل القطاع الزراعي والقرى والمشاكل التي تعاني منها الصناعات الجانبية في القرى وكذلك معالجة مشكلة الهجرة. إن ما يمكنه حل العقد في كافة القطاعات – سواء الاقتصادية أو الثقافية – هو وجود العناصر التي تتحلى بالإيمان، والعزم والثقة بالنفس والتوكل على الله وإيمان بالشعب على رأس الأمور والأعمال. فهؤلاء بإمكانهم أيضاً حل المشكلات التي يعاني منها القطاع الاقتصادي. وأينما بقيت مشكلة لنا، فذلك ناجم عن ضعف الثقة بالنفس والتوكل على الله ومحبة الشعب. فعلى المسؤولين سواء في مجلس الشورى أو الحكومة – أن لا يسمحوا بأن تضعف هذه الاعتقادات في القطاعات الثقافية والاقتصادية.

أعزائي! يا أهالي قم الشجعان الواعين! ويا شباب قم الرائدين! أقول لكم: إن زمام الأمور قد خرج اليوم من أيدي القوى الكبرى بالرغم من مساعيهم الدؤوبة ضد الإسلام وضد الصحوة الإسلامية – سواء في آسيا أو أفريقيا – فتيار الصحوة الإسلامية هذا يشهد اتساعاً مطّرداً يوماً بعد يوم ولا يمكن لهؤلاء فعل أي شيء، وقد حدث ذلك ببركة ثورتكم ونهضتكم البطولية الإيمانية الباسلة، والانتفاضة الفلسطينية تمثل نموذجاً لذلك حيث خرجت زمام الأمور من أيدي

القوى الكبرى. فالشعب الفلسطيني المحاصر في شوارعه ومدنه يواجه أكثر الأعداء همجية. كل جندي هناك بمثابة العدو للمواطن الفلسطيني. فليس الجندي هناك منهم كي يمكن لهم معالجة المشكلة بالعواطف والمودة أو تبادل الورود، بل الجندي نفسه عدو لكل شاب فلسطيني منتفض. مثل هذا الشعب الذي يعيش أجواء الكبت ويعاني من المشاكل الاقتصادية المتنوعة ويقدم الخسائر والشهداء لم يزل صامداً ولم يتراجع، فعلى أي شيء يدل ذلك؟ إنه يثبت بأن زمام الأمور قد خرج من أيدي القوى المتغطرسة الكبرى.

أنتم أيها الشعب الإيراني العزيز محور هذا التحرك العالمي العظيم. هؤلاء ينظرون إليكم ويقلدون أقوالكم وشعاراتكم وأعمالكم ويتعلمون منكم. فعليكم ملازمة التوكل على الله واليقظة والشجاعة والقدرة على المبادرة، كما عليكم المحافظة على اليقظة وعدم الغفلة – التي يتميز بها اليوم الشعب الإيراني والحمد لله – وأواصر العلاقة بينكم وبين الشعب والمسؤولين. واعلموا أن الله سيؤيدكم بنصره وسيرغم أنف العدو المعتدي الطامع في أرضكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته